



المحاضرة الرابعة:

دولة كندة وأوضاعها السياسية والحضارية

كانت كندة قبل الميلاد ذات كيان سياسي مستقل في اليمن، وكان لها ملوك يمارسون الحكم والسيادة على أبنائها ولا نعلم كم دام هذا الوضع المستقل لهذه القبيلة. إلا أننا في بداية القرن الرابع الميلادي وصلت إلينا معلومات تشير إلى تغيير أوضاع هذه القبيلة؛ ففي إحدى الفترات كان الانقسام شديداً في اليمن بين أسرشتين حاكمتين، ونتيجة لهذا الانقسام وما حصل بعده من اضطرابات سياسية، بدأت قبيلة كندة على إثره بالاتجاه نحو وسط وشمال شبه الجزيرة العربية واستقرت فيه، وهذا يدل على أن كفة الصراع السياسي في اليمن قد مالت لغير صالحهم.

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن كندة في عهدها الأول كانت في غمر ذي كندة، وكانت هذه المنطقة لقبيلة جنادة بن معد، ومما يدل على أن هذه المنطقة كانت فيها مياه إشباع حاجة قبيلة جنادة بن معد، فضلاً عن قبيلة كندة التي نزلت إلى جوارهم فتحالفت معهم حسب التقاليد والأعراف العربية. ويدل على أن هذا المكان كان إحدى محطات القوافل التجارية على الطريق بين اليمن وبلاد الشام؛ فنزول كندة في هذا الموضعفسح المجال أمامها لأداء دور سياسي وتجاري لها في إطار العلاقات الدولية المعروفة في تلك الفترة، فضلاً عن أنه يتيح أمامها المجال للمشاركة في مواسم الحج إلى مكة مما قد يكون له أثر في الحياة الدينية والثقافية عند العرب؛ لأن هذا الموقع يبعد عن مكة مسيرة يومين.

وقد ملكت كندة عليها في هذه الفترة ما يقارب الخمسة ملوك، كانت فترة حكمهم ما بين ١١١-١٢٥ سنة لا تتجاوز سلطتهم حدود القبيلة، حتى تولى الملك على كندة حجر بن عمرو الملقب بـ (آكل المرار) والذي يعد المؤسس الفعلي لمملكة كندة.

ولا تقدم لنا المصادر التاريخية أية معلومات عن أحوال قبيلة كندة في موطنهم الجديد سوى إشارة تاريخية تذكر أن أول من نساأ الشهور من مضر مالك بن كنانة، وذلك أن



مالكاً قد نكح إلى معاوية بن ثور الكندي وهو يومئذ في كندة، وكانت النسبئة قبل ذلك في كندة لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك الحرب من ربيعة ومضر وكانت من أردف المقاول (أي الأقبال وهم ملوك اليمن). والنسبئة هي عملية تأخير شهر من الأشهر الحرم إلى آخر، وكان يحدث ذلك كل ثلاث سنوات من أجل تثبيت موسم الحج؛ وذلك لأن السنة القمرية التي يحدد العرب في ضوءها مواسمهم أقصر من السنة الشمسية بحوالي ١١ يوماً. وكان من فوائد النسبئة تثبيت مواسم الحج بحيث يقع في الخريف، وهو فصل معتدل المناخ نسبياً والحياة الاقتصادية فيه نشطة. وهذا يوضح مدى الارتباط بين مواسم الحج والتجارة والنسبئة، وهو ما يفسر اهتمام قبيلة كندة به لأنه يساعدها على استغلال موقعها قرب مكة وعلاقتها بين عرب الجنوب والشمال لتقوية مركزها ونفوذها.

فالنساء انتقلت من كندة إلى كنانة بعد أن تزوج مالك بن كنانة من ابنة معاوية بن ثور الكندي، وبذلك أصبح بنو كنانة أصحاب صهر لكندة وحلفاء لهم، ومن ثم فقد عهدوا إليهم للقيام بهذه الوظيفة في مكة.

ومن أهم ملوك كندة:

١. **حجر بن عمرو (أكل المرار):** الذي تولى الملك بعد أن حكم كندة خمسة ملوك استغرقت مدة حكمهم أكثر من قرن من الزمان. ويبدو أن انتماء حجر بن عمرو إلى الأسرة الحاكمة في كندة قد ساعده في الوصول إلى السلطة على الرغم من أنه لا ينحدر من صلب الملك السابق، وربما كانت صفاته القيادية هي التي قدمته وجعلت قومه يسلمون له القيادة على وفق ما تقرره التقاليد العربية من تقديم الأفضل. وقد استطاع حجر أن يوسع نفوذه بين العرب من خلال التحالف مع القبائل الأخرى؛ فقد حالف بين كندة وربيعه، كما أن حجراً استند في تأسيس ملكه في وسط شبه الجزيرة العربية إلى أخيه من ناحية الأم ملك سبأ وهو حسان بن تبع الذي دوخ بلاد العرب وسار بالحجاز وهم بالانصراف وولى على معد بن عدنان كلها أخاه حجر بن عمرو فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة. وحسان بن تبع هو



الذي كسا الكعبة (أقدم موضع مقدس عند العرب) بالمنسوجات الفاخرة التي حصل عليها ضمن الغنائم التي جلبها من العراق. استمر حكم حجر على قومه ما يقارب الـ ٢٣ سنة وتوفي نتيجة الشيخوخة وكبر السن.

٢. **عمرو بن حجر (المقصور):** تولى الملك بعد وفاة أبيه ولقب بالمقصور لأنه قصر على ملك أبيه ولم يستطع أن يوسع حدود أراضيه، إلا أن ذلك اللقب يتنافى مع سيرته؛ إذ إنه نجح في إقامة علاقات حسنة مع المناذرة عن طريق تزويج ابنته هند إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة. وقد حكم عمرو مدة أربعين سنة، ومن المرجح أن قتله قد حصل في إحدى المعارك التي أشعلها كليب رئيس قبيلة تغلب بسبب توسيع سلطان الأخير، فاصطدم مع دولة كندة ودخل معها في حروب.

٣. **الحارث بن عمرو:** والذي تولى الملك بعد أبيه، وكان شديد الملك واسع الطموح كثير الغزوات، فعظم سلطانه وانتشر أولاده فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد. وقد بلغت كندة في عهده أوج سلطانه، وقد امتد حكمه ما يقارب الـ ٤١ سنة؛ إذ نجح في نقل دولته من حالة الضعف إلى حالة القوة عن طريق استعادة علاقاته وتحالفاته مع القبائل الشمالية إلى جانب علاقاته مع قبائل حمير في اليمن، فاستطاع عن طريقهم السيطرة على قبائل معد ودولة المناذرة في الحيرة. كما استفاد من ضعف قبائل تغلب وبكر بسبب حرب البسوس التي نشبت في عقر دارهم، مستغلاً المشاكل التي كانت تعاني منها الإمبراطورية الساسانية على صعيد الجبهة الداخلية والخارجية. ولا يستبعد أن يكون الحارث قد تعهد بدفع ضريبة خراج إلى الساسانيين في مقابل السماح له ببسط سلطانه على أراضي السواد واستثمار أراضيها الزراعية لصالحه.

إن التطورات والأحداث التي شهدتها دولة كندة أصبحت مصدر خوف وقلق من قبل المناذرة في الحيرة، الأمر الذي دفعهم إلى التقرب من البيزنطيين، وأخذ المنذر يتصرف بطريقة مزدوجة؛ فكان يتسلم من البيزنطيين المساعدات متفقاً معهم على أن لا يحرك



ساكناً حتى تتشب الحرب بينهم وبين الفرس، وأما الفرس فقد كانوا يتوقعون منه ولاءً مطلقاً لهم بصفته حليفاً دائماً لهم.

ويبدو أن المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كان يراقب هذه التطورات عن كثب، فانقض على عدوه الحارث بن عمرو الكندي في أثناء انسحابه إلى بلاد نجد حيث قاعدة حكمه الأولى فقتله، وهو ما ذكرته المصادر العربية والبيزنطية. ويبدو أن إمبراطور بيزنطة قد غضب حينما بلغه نبأ مقتل الحارث وأن أصلح أوامره إلى قادة جيشه بتعقب المنذر ومقاتلته إلا أنه لم يستطع اللحاق به.

سقوط دولة كندة:

يبدو أن مقتل الحارث الكندي جاء ليؤشر تغير الظروف التي ساعدت على نشأة دولة كندة؛ إذ اعتمدت هذه الدولة في نشأتها على مساعدة وتأييد ملوك سبأ وذو ريدان الحميريين، وكانت علاقة ملوك كندة علاقة وطيدة مع ملوك تلك الدولة. فلما زال حكم ملوك حمير في اليمن على يد الأحباش، فقدت دولة كندة سندها القوي وبات عليها أن تبحث عن سند جديد. وقد حاول الحارث جهده أن يجد السند لدى الفرس تارة، ولدى البيزنطيين تارة أخرى، إلا أنه لم يوفق في هذا المجال بسبب اضطراب الأحوال في بلاد فارس وعدم استقرار العلاقات بين الدولتين الفارسية والبيزنطية. وقد كانت دولة كندة تعاني من ضعف بنيتها الداخلية؛ إذ كان شعبها يتألف من تحالف قبائل بدوية أو نصف بدوية، وقد اتسمت بنيتها بعدم الثبات والاستقرار بسبب ظروف حياتها القائمة على التنقل الدائم بحثاً عن الكأ والماء.

كل هذه الأمور مهدت لضعف دولة كندة وانهيارها بمجرد مقتل ملكها القوي الحارث بن عمرو الكندي.

أما السبب المباشر لمقتل الحارث فهو حسب ما ذكرته الروايات التاريخية إلى أن بني أسد وبعض القبائل الأخرى كانوا قد امتنعوا عن دفع ما عليهم من ضرائب وإتاوات إلى دولة كندة وأنهم قد استهانوا وأذلوا جباة هذه الضرائب، فما كان من حجر إلا أن نكل بهم



وخاصة بني أسد بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة (الإتاوة السنوية) كي يجعلهم عبدة لغيرهم، إلا أنه أسرف في العقاب فكانت النتيجة قتلهم إياه على يد علباء بن الحارث الكاهلي.

لقد أشارت المصادر إلى أن أمراً القيس بن حجر، أشهر شعراء العرب قبل الإسلام، قد أوقف حياته من أجل الثأر لمقتل أبيه على يد بني أسد، وأخذ ينتقل بين زعماء القبائل طالباً التأييد والنصرة، إلا أنه لم يحصل على التأييد على النحو الذي كان يطمح إليه، وأخيراً توفي في بلاد الروم حين ذهب إلى القيصر يطلب نصرته، وذكر الرواة أنه توفي مسموماً بأمر من قيصر الروم.